المصـــــدر : المجلة
التـــاريخ : 30-07-2006 العـــدد : 1318
الصفحـات : 38 المسلسل : 24

موضوع الغلاف

بعد عام شهد تخفيف الأعباء وزيادة الدخل

الملك عبد الله: الجمع بين الموروث والإصلاح والتحديث

إبراهيم غرايبة

■ تبدو السعودية اليوم وقد حققت في عام واحد مجموعة كبيرة من الإنجازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية تعبر عن إرادة سياسية بالإصلاح والتقدم وعن إدراك واع ومسبق للجغرافيا السياسية الجديدة التي تتشكل في المنطقة، فالسعودية لم تعد فقط دولة غنية بالنفط، ولكنها دولة تقوم على منظومة داخلية اجتماعية وسياسية وخارجية تحمي المنجزات السعودية والعربية والإسلامية بدور إقليمي متوازن وواع، وبموارد بشرية وفنية واقتصادية متعددة ومتشابكة.

لقد كانت السنوات القليلة الماضية مليئة بالتحولات المعقدة، ذلك أن دولا كبرى قد غابت أو انسحبت وصعدت دول أخرى، ووقعت أحداث جسام أنهت مقولة القطب الأمريكي الواحد المهيمن، بعدما انتهت أيضا قسمة العالم بين معسكرين في حرب باردة طويلة ومرعبة، وأفسحت المجال للأقاليم أن تعمل وتتحرك أو على الأقل أن تبحث عن موقعها وتواجه التحديات والفرص الجديدة والتحلقات المختلفة لدول تتحرك وتصعد وتختفي، فكانت الرحلة القيادية السعودية في شرق آسيا تعبيرا عن الدور الآسيوي الجديد والإرادة السياسية بمواجهة هيمنة الاحتلال والدور الأحادي في العالم وفي المنطقة العربية والإسلامية بخاصة.

وكانت في ذلك العام أيضا مشروعات اقتصادية عملاقة، مثل مدينة الملك عبد الله الاقتصادية والاستثمارات التجارية والصناعية في المملكة وفي المنطقة في مجالات الطاقة والصناعة، وإنشاء مصرف الإنماء برأس مال كبير مقداره 4 مليارات دولار طرحت 70% من أسهمه للمواطنين، وانضمت المملكة إلى منظمة التجارة العالمية، وأنشئت مدن اقتصادية في رابغ وحائل والمدينة المنورة.

وكانت خطوات داخلية اجتماعية وسياسية واسعة ومهمة لتؤدي الطبقة الوسطى دورها القيادي والأساسي في تحديث المجتمع وتنظيمه، فكانت زيادة رواتب الموظفين بنسبة 15%، وتخفيض أسعار الوقود، وفي ذلك فرص للمعيشة الكريمة، وتفضيل نفقات للمشروعات الاقتصادية والصناعية تساعدها على النمو والتنافس.

وفي المجال السياسي والثقافي كانت اللقاءات الواسعة بالمثقفين وبرامج الابتعاث العلمي والتدريب العالي وطلاق سراح السياسيين وإفساح المجال للحوار والمصالحة مع المتطرفين بالإضافة إلى المواجهة الأمنية الحازمة في الوقت نفسه، وأطلقت برامج للحوار والانفتاح السياسي والإعلامي والوطني، وأسست جامعات جديدة في المدينة المنورة وحائل وتبوك وجيزان والطائف والقصيم والجوف والباحة وأبها وأنشئت 67 كلية علمية وفنية، وصدر عفو عن سجناء الحق العام، وتحملت الدولة الالتزامات المترتبة على الموقوفين في الحقوق الخاصة، وأنشئ صندوق استثماري لذوي الدخل المحدود.

فالمجتمعات تتقدم والدول يجري تحديثها على أساس الطبقة الوسطى من المهنيين والقادة والجامعيين والشباب الواعد من المنخرطين في الأعمال والمشروعات الصغيرة والمتوسطة، والذين يشكلون أغلبية المجتمع ويقودونه باستمرار وتواصل نحو تحسين ظروفه وتنظيم نفسه على أساس احتياجاته وأولوياته ويدافعون عن حقوقه ويسعون لتحصيلها.

وتعبر لقاءات الملك عبد الله مع المثقفين والمبادرات الإصلاحية والمشروعات الاقتصادية والابتعاث العلمي للدراسات العليا والتدريب عن استهداف واضح للطبقة الوسطى لحمايتها وتطويرها ولتأخذ دورها المفترض والأساسي في المجتمع والدولة.

ويأخذ الشباب اليوم دورا قياديا مهما وعلى أساس من شهاداتهم وخبراتهم العليا التي حصلوا عليها، وبالنظر إلى الوظائف القيادية فيمكن ملاحظة أن معظمهم من الشباب ويجيدون اللغة الانجليزية وحصلوا على أعلى الشهادات في مختلف التخصصات العلمية والتقنية.

وقد اختير الملك عبد الله الشخصية الخليجية الأولى لعام 2005 وفق استطلاع أجرته صحيفة البيان الإماراتية، ووصفته صحيفة الواشنطن تايمز في مارس (آذار) 2006 بأنه من أهم القادة العالميين اليوم.

تقدم السعودية اليوم نموذجا رائدا لدولة الحديثة في إطار من المبادئ الإسلامية والتقاليد المحافظة، وتجمع بين التمسك بهذه المبادئ والتقاليد وبين الانفتاح والتحديث، وقد يكون الأمر صعبا في بعض المواقع والحالات، ولكن إرادة الإصلاح تواجه دائما مثل هذه العقبات وتجد من الوسائل والأفكار ما تحافظ به على مبادئها وتواصل الانفتاح والتحديث في الوقت نفسه.

يقول الملك عبد الله في خطابه أمام مجلس الشورى: «لا نستطيع أن نبقى جامدين والعالم من حولنا يتغير، ولكنا سنواصل التحديث والتطوير وتعميق الحوار الوطني وتحرير الاقتصاد ومحاربة الفساد والقضاء على الروتين ورفع كفاءة العمل الحكومي والاستعانة بجهود كل المخلصين من رجال ونساء في إطار التدرج المعتدل المتماشي مع رغبات المجتمع المنسجم مع الشريعة الإسلامية، وفي مقولات تصدقها اتفاقيات التجارة الحرة والخصخصة والأسواق التجارية والاستثمارات الممتدة والعملاقة وفي الوقت نفسه المساجد والصحافة والإعلام والجامعات والكليات والمواقف الاجتماعية والسياسية المحافظة الملتزمة بالشريعة الإسلامية والثقافة العربية الأصيلة في الوقت نفسه.

وفي دولة واسعة الأرجاء تتعدد فيها الثقافات والأقاليم والامتدادات الجغرافية والاجتماعية وتنفتح على العالم، ويتطور اقتصادها بسرعة وتقيم علاقات واسعة اقتصادية وسياسية مع العالم كله، ويعمل فيها أكثر من ستة ملايين عربي وأجنبي من معظم دول العالم، وتستضيف كل عام ملايين الزوار للحج والعمرة، يجري ذلك في شبكة معقدة ومتداخلة من العلاقات والدوافع والمصالح وضرورات الأمن والصحة والسلامة لا تكاد تشبهها حالة أخرى فإن ما حققته المملكة بقيادة الملك عبد الله من تسامح وأمن واستقرار ومحافظة على سلامة الزوار والمعتمرين ومحافظة على الهوية والتواصل مع المواطنين يعتبر إنجازا غير عادي بكل المقاييس.

وفي جولاته على المواطنين والأقاليم يستمع الملك ويتحدث مع جميع الناس، ويجلس في مطعم شعبي صغير مفتوح، ويتجول في الأسواق، ويخاطب الناس بالهموم والمتطلبات الجديدة للمعادلة الصعبة التي توفق بين الانفتاح والمحافظة، فيعفو عن الموقوفين ويسدد ديون وديات من ثبت عجزهم عن الأداء، ويخاطب المواطنين في القصيم داعيا إلى «الابتعاد عن تقسيم الناس إلى فئات على أساس ما أنزل الله بها من سلطان»، ويصارح المستمعين بأنها لا تتفق مع قواعد الشريعة الإسلامية السمحة، ولا مع متطلبات الوحدة الوطنية، ففي الدول الحديثة اليوم تقوم الوحدة الوطنية على احترام التعددية لأن حمل الناس على وجهة واحدة يتناقض مع طبيعة

المصـــــدر : المجلة
التـــاريخ : 30-07-2006 العـــدد : 1318
الصفحـات : 39 المسلسل : 24

الأشياء ومع موجة الانفتاح على العالم، وأنشئ لأجل ذلك في المملكة مركز الحوار الوطني لاستيعاب أفكار الناس وتحقيق التعاون مع الاختلاف ولتكريس العدل والاعتدال كأساس للعمل والانتماء المشترك.

وفي دولة ينطور اقتصادها بسرعة تسابق الزمن وتحرق المراحل فإن تغييرات اجتماعية تقترب من الصدمة تكاد تحدث، وبعضها قد يبدو مفاجئا أو غريبا مثل البطالة، ولكن اتجاهات التعليم والحراك الاقتصادي والاجتماعي السريع والمتسارع أيضا أنشأت واقعا خاصا مختلفا عن دول العالم، فكانت الوجهة التنموية بعد البنى الأساسية تطوير ومراجعة المشاريع لتستوعب العمالة الوطنية المتعلمة والمتغيرة في تركيبتها واتجاهاتها وتطوير الكفاءات والموارد البشرية لتستوعب سوق العمل، فكانت مدينة الملك عبد الله الاقتصادية التي أنشئت مؤخرا باستثمارات بلغت قيمتها مائة مليار ريال سعودي وستكون قاعدة لوظائف عمل تصل إلى نصف مليون وظيفة، وكانت برامج ابتعاث وتدريب عملاقة وغير مسبوقة في مختلف التخصصات والى جميع أنحاء العالم المتقدم في أوروبا وأمريكا واسيا.

وفي دولة سلامية ويقوم الحكم والمجتمع فيها على الشريعة الإسلامية وتحتل موقعا إسلاميا قياديا، وتشكل جغرافيا وتاريخيا مركزا إسلاميا مقدسا للعالم كان لا بد من مواجهة العنف والتطرف المنسب إلى الإسلام بمجموعة من السياسات والإجراءات تجمع بين المواجهة بالحزم وبين الحوار وتنظيم الفتوى وتطوير التعليم وترشيده والتكيف الإيجابي مع موجات العولمة بما تطرحه من خير وشر ومنفعة وضرر وتحديات وفرص ونقاط ضعف وقوة.

واتجهت المملكة إلى الانتخابات التزاما عمليا بالإصلاح والحوار، فاجريت مؤخرا انتخابات بلدية، وانتخابات غرف التجارة والاتحادات الرياضية والمجالس الطلابية والجمعيات المهنية.

وفي خطاباته أمام مجلس الشورى وللمواطنين ووسائل الإعلام حدد الملك عبدالله سياساته بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية والمساواة والوحدة الوطنية في إطار العقيدة الإسلامية: يقول خادم الحرمين الشريفين في حفل افتتاح أعمال السنة الثانية من الدورة الرابعة للمجلس: «إن الإسلام يدعو الى توفير الحياة الطيبة لأبنائه وسبيلنا إلى تحقيق ذلك هو التنمية الشاملة التي سنسعى بإذن الله الى استكمالها متلمسين خير المواطن وسعادته، آملين أن نحقق له أسباب السكن والعمل والتعليم والعلاج وبقية الخدمات والمرافق وسنحرص على مكافحة الفقر، والاهتمام بالمناطق التي لم تحصل على نصيبها من التطور، وفقا لخطط التنمية المدروسة، إننا لا نستطيع ان نبقى جامدين والعالم من حولنا يتغير ومن هنا سوف نستمر بإذن الله في عملية التصوير».

ويتابع الملك أوضاع السوق على نحو متواصل، وحينما هبط سوق الأسهم في نهاية شباط فبراير الماضي تدخل معلنا عن عدة مبادرات إيجابية من أجل أن يسترد سوق الأسهم عافيته، وقدم توجيهات واضحة بضرورة ربط النشاط الاقتصادي والمشروعات الاقتصادية بمكاسب ذوي الدخل المحدود وفرص جميع المواطنين على قدم المساواة في المشاركة الاقتصادية، والمساواة بين المناطق

أيضا لتأخذ المشروعات الاقتصادية والتنموية وجهة شاملة ومتوازنة بين المناطق والأقاليم، وتخصيص اعتمادات مالية إضافية للمشروعات والخدمات في المناطق الأقل فرصة لتلحق بالأخرى.

وكان مركز الحوار الوطني والمشروعات الثقافية وفق رؤية مسبقة قال عنها الملك «هذه الحوارات ستكون بإذن الله إنجازا تاريخيا يسهم في إيجاد قناة للتعبير المسؤول، وسيكون لها أثر فعال في محاربة التعصب والغلو والتطرف وإيجاد مناخ فكري تنطلق منه المواقف الحكيمة والآراء المستنيرة التي ترفض الإرهاب والفكر الإرهابي»، وكانت مكتبة الملك عبد العزيز العامة بفروعها المختلفة ومهرجان الجنادرية الثقافي ولقاءات المثقفين والمؤتمرات من أجل إسناد دور جوهري للثقافة ورعاية الموهوبين علميا وفكريا.

وفي كلمة خادم الحرمين الشريفين التي ألقاها في احتفال جامعة الملك سعود بمرور خمسين عاما في 15 مايو أيار الماضي قال: "ليست الجامعة مؤسسة عادية من مؤسسات المجتمع، بل كنز المعارف الذي ينتقل من جيل إلى جيل؛ وهي المكتبة التي تضم الذخائر من كل زمان وبكل لسان، وهي المختبر الذي ينطلق منه إبداع المعلم والربوع التي يقضي فيها الشاب أجمل سنوات عمره وأغناها بالتجارب والصداقات، ويقتضي الوفاء في هذا الموقف أن أذكر بالتقدير والعرفان كل من ساهم في النهضة التعليمية الجامعية من رجال ونساء ومواطنين وأشقاء وأصدقاء، وأخص بالذكر أعضاء هيئة التدريس فهم الجنود المجهولون في ملحمة التنمية وهم عقول المجتمع وضمائره، وهم الشموع التي تحترق لتضيء العقول بالنور والقلوب بالتسامح ■